المحاضرة 14: المضامين الشعرية بعد ازدهار اللغة الشعرية في الجزائر:

1- المضمون الديني :

ويشمل الاعتقادات كوجوب الإيمان، والسلوك العملي في الحياة كالتجارة والبيع، ومسائل الأخلاق والتصوف ومعرفة الحلال من الحرام للالتزام به، و من أمثلته ما جاء في منظومات أحمد زروق الكثيرة، ومنها منظومته التي تضمنت عقيدة الشيخ السنوسي الصغرى قال في مطلعها :

الحمد هلل الذي عرفنا*** بنفسه والهدى شرفنا

إلى أن قال فيها:

و بعد فالمقصود من هذا النظام *** نظم عقيدة السنوسي الإلمام

من غير تبديل و ا تغير *** سوى اختلاف اللفظ و التعبير

ومن هذا النمط كذلك، منظومة بيوع الأجل و منها قوله :

هللا أحمد مصليا على*** محمد مسلما على الوال

أما فخذ نظم بيوع الأجل ***مختصرا وقيت كل الوجل

من باع شيئه بنقد فاشتراه *** بثمن من جنس ما به شرا

_النمط الصوفي:

يهدف التصوف أو الربانية إلى تهذيب النفس وترقيق القلب وتنمية المراقبة الذاتية هلل تعالى والمحاسبة الداخلية للسلوك، ليبقى المسلم ملتزما بأحكام الشرع ومنصرفا في أعماله إلى مرضاة هللا وذلك بإخلاص النية والبعد عن الرياء والمعاصي. يقول ابن خلدون عن هذا العلم إنه: "من العلوم الشرعية الحادثة في الملة... و أصلها العكوف على العبادة والانقطاع".

والتصوف هو الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها ".و للمتصوفة شأن في التاريخ الإسلامي، كما كان له دور بارز في الدعوة الإسلامية و انتشار الإسلام في بعض القارات، كالطريقة السنوسية في إفريقيا والطرق المختلفة في جنوب السودان و غرب إفريقيا، لأنه يغطي زوايا حساسة ومهمة في حياة الفرد ويلبي حاجة الروح .

وفي هذا الإطار تندرج جميع قصائد و أشعار إبراهيم التازي نزيل وه ارن تـ 866 هـ من ذلك قصيدته الشهيرة المسماة المرادية ومطلعها قوله :

مرادي من المولى وغاية آمالي *** دوام الرضى و العفو عن سوء أعمالي

وتنوير قلبي بانسلال سخيمة ***به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي

وإسقاط تدبيري وحولي وقوتي ***والصدق في الأحوال والفعل والقال

في حبه وحب صفوته الرضى *** ملائكة وأنبياء وأرسال

وحب النبي الهاشمي محمد *** وأصحابه الغر والأفاضل

وحب رجال خالفوا النفس والهوى ***خافوا المقام الواحد الصمد العالي

مضمون الرثاء:

يعلم الرثاء القيم الأخلاقية و يذكر بالآخرة، فنجد فيه حكما قيمة تصب كلها في التسليم بالأقدار، ووجوب الإذعان و الخضوع إلى حكم الموت في الحقيقة فليس بوسع الخلق أن يحدثوا نسخا أو يؤخروا أجالا، فهو حكم عدل نافذ على البشرية جمعاء لا فرق في ذلك بين عظيم في ملكه، أو غني في قصره، و بين المعدوم الفقير في كوخه، والضعيف في مأواه، فظاهرة الموت آية عظيمة ال تدركها الأفئدة و ال نشرحها العقول، وكذلك يتعين الرضوخ للأمر إذ كل شيء بقدر و تدبير من المتصرف الوحيد في الكون، فالموت يصيب الغني و الفقير و العزيز و الحقير، القائد و المقود.

البعد التعليمي في مدائح أبي حمو:

لم تمر أي مناسبة للمولد دون أن يؤلف الأمير أبو حمو قصيده في مدح النبي محمد ففي 1سنة 760 هـ، أنشد الأمير ميميته التي مطلعها:

نام الأحباب و لم تنم*** عيني بمصارعة الندم

يمر كالدر والدمع تحد ***جرح الخدين فوا ألم

وزجرت النفس فما ازدجرت*** ونهيت القلب قلم

يرم و نذير الشيب لقد وافى***وحلول الشيب من الهرم

وهو كما نلاحظ في محاسبة النفس و زجرها عن التفريط في جنب هللا و الحذر من الغرور و الانسياق وراء الشهوات رغم تقدم السن و نذير الشيب. ثم يواصل قائلا :

والعمر تولى منصرما ***آه للعمر المنصرم

بساكنها والدار تغر *** ويح الغرور بها النهم

يا نفس خدعت بزخرفها***كم ذا تغتر بها و كم

ذنوبي قد عظمت يا رب ***فامنن بالعفو لمجترم

إلى أن يقول :إني بذنوبي معترف *** والخوف أشد من الألم

إذ لم تعصمني يا رب *** مالي بذنوبي من عصم

كم أجني الذنب و تمهلني*** و تقابل ذلك بالنعم

ولكم أعصيك و تسترني*** يا ذا الأفضال وذا الكرم

والقصيدة في أكثر من 44 بيتا من بحر المتدارك وردت في بغية الرواد، وكأن الأمير يتخذ من مناسبة المولد وسيلة للتقرب بشعره إلى المولى عز وجل، فهي تعلم طريق العودة و الأوبة إلى الله، وذلك بالندم على ما فات و البكاء بالدموع على التفريط في حقوق الله جل و عز، و هذا أول شروط التوبة النصوح كما نص عليها فقهاء الإسلام. ثم يشير الأمير إلى النفس الأمارة بالسوء و يتحسر على ما فات من عمره، و يعزم على الطاعة و عدم العودة إلى المعاصي. فكأني بالقصيدة كذلك تعلمنا أدب الدعاء وذلك بالثناء على هللا تمجيدا و تعظيما، و الاعتراف بالذنب ثم طلب المغفرة. و أغلب المعاني وردت في السنة النبوية الشريفة.

و ما من شك أن حضور العامة و الخاصة في الاستماع لإنشاد الأمير، له وقعه و أثره، فالناس على دين ملوكهم فتكون هذه المعاني قدوة للأتباع. وسياسة عامة يسترشد بها الناس جميعا. فهذه سلوكات الخلفاء المرتبطين بالدين.

ثم يتوسل إلى الله بالنبي الكريم ليغفر هللا له في قوله :

سألتك تغفر لي يا رب ***بشفيع الخلق من الألم

ثم يبدي حسرته على عدم استطاعته الرحلة للحج أو العمرة لزيارة المسجد الحرام والمسجد النبوي بسبب انشغاله بشؤون السياسية وتدبير أمور الدولة وذلك في قوله :

جسمي بتلمسان دنف*** و القلب رهين الحرم

والني أمر الخلق فلم*** أسطع سيرا من أجلهم